الايك والغصون قال ولا عار يعوزهُ بعد ذلك فقد روى عنهُ ابو القاسم الشرخي وهو من اقرانهِ والخطيب ابو زكريا التبريزي احد الاعلام والامام ابو المكارم عبد الوارث ابن محمد الاجري والفقيه ابو تمام غالب بن عيسى الانصاري والخليل بن عبد الجبار القزويني وابو طاهر محمد بن احمد بن ابي الصقر الانباري وغيرهم واحد . ومرض ثلثة ايام ومات في الرابع ليلة جمعة من اوائل ربيع الاول من السنة (٤٤٩) وقد رثاهُ تلميذهُ ابو الحسن علي بن همام

الطائر الطنّان

كيفما اجلت طرفك في هذا الكون رأيت من الغرائب ما يدهشك — رأيت انواع الحيوان والنبات وتنوّعاتها لا يحصى لها عدٌّ ولا يحصر لها شكل ولكنك ترى وراء هذا الاختلاف الظاهر في الحجم والشكل واللون والطبائع اتفاقاً باطناً في البناء والتركيب كأنها كلها من شجرة واحدة واصل واحد تشعبت شعباً كثيرة حرياً على ما تقتضيهِ احوال الزمان والمكان ولكنها حافظت على اصلها الذي تفرّعت منهُ

ادخل حديقة الجيزة وانظر الفيل فيها يشبه المومياء كأنهُ قطعة من جلمود لا يكاد يحرّك عضواً من اعضائهِ وامامهُ الجدانه تسرح وتمرح وكأنها تسابق الطيور في طيرانها . والجدي كالفيل في كل ما هو جوهري لبنائهما فكل منهما معدة وامعاء وقلب ورئتان وكليتان وكبد وطحال وفم واسنان ويدان ورجلان ودماغ واعصاب يأكلان النبات ويغتذيان ويهضمانهِ فيتحيل فيهما دماً يغذيهما ويتزاوجان ويلدان ويرضعان على اسلوب واحد مع اختلف شكلهما الظاهر

ودُرْ الى يسارك تجد البغاء على اختلاف اشكالهِ والوانهِ جاثماً على غصنهِ ان مشى عليها انتقل انتقال الحرباء لا يترك الساق الاَّ ممسكاً ساقاً كأنهُ طلق خفة الطيور واعتاض منها ثقل الزواحف . ولكن ما كلُّ الطير كذلك بل منهُ ما ناظر الرياح في حركتها وهو طائر الطنّان الذي لا تكاد العين تبينهُ لصغر جسمهِ وسرعة حركتهِ

وطن هذا الطائر اميركا والجزائر القريبة منها بعضهُ كبير كالعصفور الصغير واكثرهُ صغير كالنحل والزنابير . بعضهُ زاهد يكتفي بالابيض والاسود من الالوان واكثرهُ مغرًى بالزهو والبرقشة حتى كأن ريشهُ مصوغ من الذهب والياقوت والزمرد والفيروز . جناحاهُ قصيران وحركتهما سريعة فيكون لها طنين كطنين النحل ولذا سميناهُ بالطنان تعريب اسمهِ بالانكليزية .

وهو انواع مختلفة شكلاً ولوناً ولكلٍّ منها طنين خاص به. اكثر غذائهِ من الحشرات التي تقع على الازهار فيقف في الهواء امام الزهرة ويمدُّ منقارهُ اليها ويلتقط بهِ الحشرات التي فيها ولذلك طال منقارهُ كثيرًا حتى قد يبلغ طول جسمهِ وهو في الاصل قصير مثل منقار الخطاف والسنونو كما يظهر من قصرهِ في فراخهِ ولكنَّ اختفاء الحشرات منهُ في جوف الازهار الطويلة دعا الى اطالة منقارهِ جريًا على ناموس الانتخاب الطبيعي. وقد ظنَّ العلماء لما رأوا هذا الطائر اولاً يقف في الهواء امام الازهار ويدخل منقارهُ اليها انهُ يتقصر على الاغتذاء بالاري (العسل) الذي فيها لكن العلاَّمة ولس الطبيعي شرَّح كثيرًا منهُ فوجد في حواصلهِ الصراصير والعناكب والنمل وقلما وجد فيها شيئًا من العسل

ورُبِّي رجل اسمهُ وير الطنان في قفص فباض عندهُ وافرخ وكان يطير ويدنو من اغصان الاشجار وهو طائر ثم يعود الى فراخهِ ولم يدرِ في اول الامر ماذا كان يفعل بطيرانهِ كذلك ثم وجد انهُ كان يلتقط العناكب من بيوتها ويأتي بها الى فراخهِ وخفة حركتهِ لم تكن تقط الندى تسقط عن بيوت العناكب. ومسك مرةً طنانًا ياقوتي العنق فتاوت في اول الامر حتى حسبهُ قد مات حقيقة ثم رآهُ يفتح عينهُ ويغمضها حالاً فوضع نقطةً من قطر السكَّر على رأس منقارهِ فاستطابها ونهض لساعتهِ وجثم على اصبعهِ. وقدَّم لهُ ملعقة فيها قطر فجعل يحسوهُ منها وفتح لهُ القفص بعد ثلاثة اسابيع فطار وعاد اليهِ يحسو القطر منهُ

ورُبِّي ايضًا عائلة من هذه الطيور ابًا وامًّا وفرخين فبقيت عندهُ الى ان حان وقت قطعها فقطعت لانها من القواطع[1] ثم رجعت اليهِ مع الرواجع في السنة التالية ودخلت القفص وجعلت تحسو القطر الذي وضعهُ لها فيهِ. وعليهِ فالطنان يستطيب السوائل الحلوة ولكن يظهر من التجارب الكثيرة ان هذه السوائل لا تكفيهِ بل لا بدَّ لهُ من اكل الحشرات لتغذيتهِ

وذكر الطنان يحب الزهر والبرقشة كالديك والطاووس واما الاناثُ فتكتفي بالالوان الساذجة. ثم ان تبرقش الذكر لا يدوم على مدار السنة بل هو وقتي يتحلَّى بهِ في زمن المزاوجة اغراء للاناث. والالوان ليست ثابتة في ريشهِ بل متغيرة بتغير جهة النور الواقع عليهِ والطنان المرسوم في الشكل الاول على الصفحة التالية حجمهُ كحجم الصورة وريش عنقهِ وقبرتهِ اشقر وطرف كل ريشة منهُ اخضر لامع كالزمرُّد واسفل عنقهِ اخضر كلهُ. والشكل الثاني صورة نوع آخر طويل المذنب وهو اكبر من صورتهِ جرمًا والوانهُ بديعة جدًّا لكنها تجني عليهِ كما جنت على نفسها براتش فيصاد لتزخرف بهِ برانيط النساء وثيابهنَّ

(١) اي التي تنتقل من بلاد الى اخرى تشتو فيها او تصيف

قال دوق كارليل العالم الشهير ان الطيور لا تطير الى الوراء ابداً بل الذين راقبوا الطنّان طويلاً يقررون انهُ يصير الى الامام والى الوراء على السواء . وطيرانهُ سريع في كل حال حتى لا تكاد العين تثبينهُ لسرعته . وذكورهُ تزقزق قليلاً وصوتها لطيف مخفض يسمع على عشرين او ثلاثين قدماً منها وهو صفير يشتدُّ اذا كانت تجزر الطيور الاخرى عن عشاشها . وانثاش صغيرة يصنعها من الخطب وتبيض الانثى بيضتين صغيرتين

وانواع الطنّان كثيرة عدَّ منها الى الآن نحو خمس مئة نوع ادخلوها تحت ١٧ جنساً وهي تحب اللهو واللعب والخصام فقلما ترى الاَّ وذكورها يطارد بعضها بعضاً حتى يشعر احدها بالانغلاب فيلجأ الى الفرار . ومنهُ نوع صغير الجسم جدًّا لهُ اربع ريشات طويلة سيفي ذنبهِ

الشكل الثاني

الشكل الاول

اثنتان منها دقيقتان مستقيمتان واثنتان معقوفتان ورأس كلٍّ منهما مبسوط كالدينار ويقال ان ذكورهُ تجتمع معاً في الهواء وتقسم فريقين يرقص بعضها امام بعض وهي تصفق باجنحتها واذنابها

وقد كتبت احدى السيدات بالامس من جزيرة دومينيكا الى جريدة ويدورلد الانكليزية تقول: كنت امشي في حديقتي في شهر دسمبر ومعي آلة صغيرة للتصوير الشمسي فرأيت طنّانة التقطت ريشة وطارت بها الى شجيرة يوكالبتوس فيه عشها فوضعت الريشة فيهِ ثم طارت الى سروة عليها كثير من نسج العنكبوت فجمعت بعضهُ وطارت بهِ الى عشها. فاسرعتُ الى شجيرة اليوكالبتوس فوجدت فيها عُشيشاً من اصغر ما رأتهُ العيناه لا يعلو عن الارض اكثر من قدمين تكاد الاوراق تحجبهُ عن الانظار لصغرهِ ولتكاثفها حولهُ فوقفت هناك انتظر الطنانة لارى

ما يكون من امرها . اما هي فاشفقت ان ترجع الى عشها امامي لئلاَّ اهتدي اليهِ فوقفت ترمقني من بعيد وكانت ابنتي معي فقالت لي على مَ لا تصوّرينها يا امَّاهُ . ولم يخطر ببالي قبل ذلك ان تصويرها من الممكنات لشدَّة نفورها وسرعة طيرانها ولكني لما سمعت ذلك تاقت نفسي الى تصويرها فجعلت اتردَّد على عشها وارقبهُ من يوم الى يوم من غير ان ازعجها فباضت اولاً بيضةً صغيرة كالحمصة حجماً ثم باضت بيضة اخرى ولون البيضتين ابيض فضي ولم تكن قد اتمَّت العش فاتتهُ بالاشنان ونسج العناكب بعد ان باضت فيهِ وبعد اسبوعين خرج من البيضتين فرخان قبيحا المنظر . واكثر الطيور تساعد ذكورها اناثها في حضن البيض واطعام الفراخ لكن الطنان لا يفعل ذلك بل يترك اناثهُ تقوم على تربية صغارهِ ويهاجر الى الجبال يمتص الاري من الازهار ويرقص في نور الشمس

وظللت اتردَّد على العش الى ان الفت الطنَّانة صورتي وانستْ بي وصارت تأتي وترزق فرخيها وانا واقفة امامها فاتيت بآلة التصوير قاصدة تصويرها وكان الفرخان يثبان في اسفل العش لا يرفعان رأسيهما الاَّ حينما تأتيهما امهما بالطعام فالتفتت مرةً الى ان انتهما لترزقهما فصوَّرتهما وصوَّرتها وهي ترزقهما تدخل منقارها في منقار الفرخ وتلقي فيهِ الطعام . وزاد انس هذه الطيور بي فصرت ادنو من العش حتى يلصق وجهي بهِ

ثم خطر لي ان اساعد الام على اطعام فرخيها تعويضاً عما لقيت من هجران زوجها لها فوضعت نقطة من القطر على اصبعي واديتهُ من منقار احد الفرخين فامتصهُ بلسانهِ الاسود فمرت اطعمهما منهُ . وصورت امها مرةً وهي طائرة مُرفرفة امام العش لا يكاد جناحاها يريان لسرعة حركتهما

وكبر الفرخان وحاول احدهما الخروج من العش والسعي في طلب الرزق فكسرت الغصن الذي عليهِ العش وسرت بهِ قليلاً فوقف ذلك الفرخ حائرًا في امرهِ واخيرًا تبعني ووقف على الغصن الذي عليهِ العشُ وكانت امهُ ترقب ذلك وهي واقفة على غصن آخر فوقي . وبعد قليل طار الفرخان وغادرا حديقتي وضربا في البلاد يمتصان الاري من الازهار ويلتقطان الحشرات من مخادعها انتهى

هذه خلاصة ما يقال في هذا الطائر البديع المنظر الغريب الاطوار الذي انحطَّ في صغر جسمهِ عن سائر الاطيار وفاقها في بهاء ثوابهِ وسرعة طيرانهِ